



لم يتوقع أشد المتشائمين من الثورة السورية وما لاتها وتعامل النظام بها مع شعبه، أن تكون أخلاقيات الرئيس غير الشرعي بشار الأسد كأخلق أبيه بهذه الوحشية والهمجية رغم وجود الإعلام بأشكاله، وأن يضطهد شعبه بأبنائه وجيشه الذي كان يدفع المواطن له من عرق جبينه وقوت يومه لبنائه وتقويته والذي سرعان ما قلب لهم ظهر المجن ووجه سلاحه بكل أشكاله عليهم، مدمرة البنية التحتية والأخلاقية والإنسانية في سوريا.

وبعد مرور أكثر من سنة ونصف على الثورة، أصبح المواطن الذي يتربّب ساعنة استشهاده، ولا يشغله سوى معرفة طريقتها، هل بالقصف أم الذبح أم القنص أم غير ذلك من صنوف القتل التي لم تعرف البشرية شبيها لها؟ (أصبح يتربّب) متسائلاً أي دين وأي تربية وأي عمالة وأية أخلاق؟ تلك التي انطلت علينا طوال العقود الأربع الماضية!! وأي خوف وأي تردد وأي جهل حملناه في قلوبنا في تعاملنا مع هذا النظام الذي لا يحده وصف في قباحتة؟! بل أي ظلم وأي خذلان حملناه في قلوبنا لمن قام وانتقض على هذا النظام في ثمانينيات القرن الماضي؟! نعم ... أما استوعبنا في حينها أننا أمام مجرم لا يحرّم حراما ولا يحل حلالا؟! لماذا ظلمنا من خرج فلم نقف معهم لعلنا على الأقل تدرّاكنا هذا النظام المجرم قبل أن يقوى ويتحالف مع القاصي والداني في سبيل تحقيق مصالحه على حساب قمعنا واضطهادنا واستعبادنا؟!

المجرم في الأمس هو مجرم اليوم، تشابهاً عقيدة وأخلاقاً وعمالة ونهباً للوطن واختلافاً أشخاصاً، وضحية الأمس هو ضحية اليوم تشابهاً عقيدة وأخلاقاً و التربية وحب الوطن واختلافاً أشخاصاً، والجندي القاتل الأمس هو القاتل نفسه بصفاته، وابن الوطن الحر المجاهد هو ذاته بين اليوم والأمس، والمعتقل هو المعتقل، والمهجّر هو المهجّر، غير أن الأسماء اختلفت، فأصبح مجاهد ومقاتل الأمس مثلاً، جندياً في الجيش الحر اليوم، كما ساهم اتساع رقعة الثورة وفضح كذب النظام في

إعطاء كل ذي حق حقه من التسمية والوصف بعكس ثورة الأمس التي كان النظام مسيطرا فيها - ترهيبا وتضليلـاـ على الشعب، فلم ينصف الشعب كله ابنه التأثر في حينها، واليوم أصبح عامة الشعب يميـزون بين الشبيح المأجور والتأثير الوطني كما يميـزون بين الجندي الخائن في كتائب الأسد وبين الجندي الحر في الجيش الحر.

في الأمس قام نظام الأسد - على يد المجرم الأب حافظ - بارتكاب مجرزة حماة وتدمر بالقصف بالطيران والنبع والتصفية والإعدامات الميدانية، وبذات الأساليب التي يستخدمها الانـاـ ابن بشار مع الشعب نفسه، ولكن على نطاق أوسع، واللافت أنـاـ التهمة ذاتها هي التي يتذرع بها المجرمان الأب والابن بحق الشعب الضحية وهي أنـاـ الضحية عصابات مسلحة عملية لأمريكا وإسرائيل تريد هدم جدار المقاومة والممانعة الصامد في وجه أعداء الأمة إلى الانـاـ، وبعد أنـاـ استطاع إلى حد معين من تغيير نظرة الشعب إلى الضحية التأثر الأول الذي بذل دمه وماهـاـ وعرضه وشـرـدـ من أجل فضـهـ وكشفـ حـقـيقـتـهـ ، وذلك بالترهيب والتضليل، عاد اليـومـ ليمارسـ الأـسـلـوـبـ نفسهـ معـ التـأـثـرـ الـابـنـ، ولكنـ علىـ نطاقـ أوـسـعـ؛ لأنـهـ كلـماـ كـبـرـ الجـرـيمـةـ وـاتـسـعـتـ رـقـعتـهاـ كانـ بـحـاجـةـ إـلـىـ كـذـبـ وـتـضـلـيلـ يـنـاسـبـهاـ وـهـاـ هوـ يـخـرـجـ عـلـيـنـاـ مـجـدـاـ بـذـرـيعـةـ العـصـابـاتـ المـسـلـحـةـ وـجـرـائـهـاـ وـعـالـمـتـهاـ وـدـخـولـ القـاعـدـةـ إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ مـنـ الأـسـالـيـبـ الـتـيـ لاـ تـعـدـ وـلـاـ تـحـصـىـ مـنـ الـبـرـوـيـاغـانـدـاـ الـتـيـ قـلـ نـظـيرـهـاـ، مـسـتعـيـنـاـ بـالـآـلـةـ الإـلـاعـامـيـةـ الإـقـلـيمـيـةـ الطـائـفـيـةـ الـتـيـ فـضـحـتـ وـبـانـ عـوارـهـاـ لـلـفـاصـيـ وـالـدـانـيـ.

جريـاتـ الثـورـةـ فـيـ الأـمـسـ عـلـمـتـ ثـائـرـ الـيـوـمـ أـمـورـاـ كـانـ لـهـ الدـورـ الأـكـبـرـ فـيـ صـمـودـهـ وـثـيـاتـهـ الأـسـطـورـيـ الـحـالـيـ وـانتـصارـهـ القـرـيبـ بـإـذـنـ اللـهـ ، فـالـثـائـرـ الـذـيـ خـرـجـ فـيـ بـدـاـيـةـ الثـورـةـ بـكـلـ سـلـمـيـةـ يـنـادـيـ بـالـحـرـيـةـ ثـمـ وـوـجـهـ بـالـرـصـاصـ وـالـنـارـ وـمـنـ ثـمـ الإـلـاعـامـ الكـاذـبـ الـذـيـ يـغـطـيـ جـرـيـمـتـهـ أـدـرـكـ حـقـيـقـةـ النـظـامـ الـذـيـ يـحـكـمـهـ، وـمـعـنـيـ السـكـوتـ عـلـيـهـ وـتـكـرـارـ سـيـنـارـيوـ المـاضـيـ؛ لـذـلـكـ أـصـبـحـ الـخـيـارـ عـنـدـ الشـعـبـ خـيـارـ وـجـودـ وـعـدـمـ، وـشـاهـدـنـاـ نـطـاقـ الثـورـةـ يـتـسـعـ وـيـكـبـرـ وـالـثـورـةـ تـمـتـ أـفـقـيـاـ وـعـمـودـيـاـ إـلـىـ أـنـ عـمـتـ سـورـيـةـ بـأـكـملـهـاـ سـوـىـ بـعـضـ الـمـنـاطـقـ الـمـحـسـوـبـةـ عـلـىـ النـظـامـ.ـ وـلـوـ تـأـمـلـنـاـ فـيـ جـرـيـاتـ ثـورـةـ الأـمـســ الثـمـانـيـنـاتــ.ـ وـأـسـقطـنـاـهـاـ عـلـىـ ثـورـةـ الـيـوـمـ 15ـ آـذـارــ وـأـنـتـشـارـهـاـ وـصـبـرـ الشـعـبـ، وـكـثـرـةـ الـانـشـقـاقـاتـ فـيـ جـسـمـ النـظـامـ الدـبـلـوـمـاسـيـ وـالـعـسـكـرـيـ وـالـأـمـنـيـ لـأـدـرـكـنـاـ الـانـتـصـارـ الـمحـتمـ لـثـورـةـ الـيـوـمـ، لـأـنـ الـعـامـلـيـنـ الرـئـيـسـيـنـ الـلـذـيـنـ اـعـتـمـدـ عـلـيـهـمـ نـظـامـ الـأـبـ الـمـجـرمـ سـقـطاـ، وـهـمـاـ عـامـلاـ التـرـهـيبـ وـالـسـطـوـةـ الـأـمـنـيـ الـحـدـيـدـيـ الـذـيـ أـسـقـطـهـ إـرـادـهـ الشـعـبـ رـغـمـ كـلـ الـجـحـيمـ الـذـيـ يـعـالـمـونـ بـهـ، وـعـاـمـلـ التـضـلـيلـ الـذـيـ سـاعـدـ عـلـىـ كـشـفـ الإـلـاعـامـ الـجـدـيدـ وـأـنـتـشـارـهـ.

وـإـذـ كـانـتـ آـلـةـ النـظـامـ الإـلـاعـامـيـةـ فـيـ الثـمـانـيـنـاتـ استـطـاعـتـ أـنـ تـصـرـفـ الثـورـةـ عـنـ وـجـهـتـهاـ الـحـقـيـقـيـةـ الـوطـنـيـةـ الـمـطـالـبـةـ بـالـحـرـيـةـ وـإـسـقـاطـ النـظـامـ الـأـمـنـيـ وـتـنبـيـهـ الـمـوـاـطـنـ الـسـوـرـيـ فـيـ حـيـنـهـاـ عـلـىـ خـطـورـهـ هـذـاـ النـظـامـ غـيرـ الـشـرـعـيـ الـمـتوـحـشـ وـذـلـكـ بـزـعـمـ اـرـتـباطـ الـثـوـارـ فـيـ حـيـنـهـاــ إـلـيـخـوانـ الـمـسـلـمـونــ بـإـسـرـائـيلـ وـزـعـمـ نـيـتـهـمـ إـقـامـةـ دـوـلـةـ إـسـلـامـيـةـ، فـقـدـ عـجزـ آـلـهـ الإـلـاعـامـيـةـ بـضـخـامـتـهـاـ وـأـنـتـشـارـهـاـ الـيـوـمـ عـنـ ذـلـكـ، وـذـلـكـ لـأـنـ فـنـاتـ الشـعـبـ كـلـهـاـ اـنـضـمـتـ لـلـثـورـةـ وـشـاهـدـتـ كـيـفـ أـنـ ذـاتـ الـاتـهـامـ الـذـيـ وـجـهـ لـإـلـيـخـوانـ فـيـ الثـمـانـيـنـاتـ يـلـصـقـ الـيـوـمـ لـلـإـسـلـامـيـ وـالـعـلـمـانـيـ وـالـمـوـاـطـنـ الـبـسيـطـ الـذـيـ لـاـ يـرـبـطـ بـالـسـيـاسـةـ وـالـمـعـارـضـةـ رـابـطـ،ـ مـتـهـماـ إـيـاـهـمـ بـالـاتـهـامـاتـ الـأـخـرـىـ الـذـيـ لـاـ حـصـرـ لـهـاـ وـالـتـيـ صـوـرـهـاـ نـظـامـ الـأـسـدـ بـالـحـربـ الـكـوـنـيـةـ عـلـىـ نـظـامـهـ الـمـقاـوـمـ وـالـمـمـانـعـ،ـ كـمـاـ أـنـ سـطـوـتـهـ الـأـمـنـيـ وـتـضـلـيلـهـ وـكـذـبـهـ هـيـ ذـاتـهـاـ الـتـيـ نـقـلتـ حـرـاكـ الـثـورـةـ مـنـ سـلـمـيـتـهـ إـلـىـ الـمـقاـوـمـ وـحـمـلـ السـلاحـ سـوـاءـ كـانـ فـيـ حـرـاكـ الـثـمـانـيـنـاتـ عـنـدـمـاـ اـضـطـرـ بـعـضـ إـلـيـخـوانـ لـحـمـلـ السـلاحـ لـمـواـجـهـةـ إـرـهـابـهـ وـمـجاـزـرـهـ،ـ أـوـ فـيـ ثـورـةـ الـيـوـمـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ فـيـ مـراـحـلـهـاـ الـأـخـيـرـةـ عـسـكـرـيـةـ بـحـتـةـ مـعـ وـجـودـ الزـخمـ الشـعـبـيـ السـلـمـيـ إـلـىـ آـنـ.

وـخـتـاماـ لـاـ بـدـ لـهـذـاـ النـظـامـ الـذـيـ بـدـأـ يـتصـدـعـ وـيـنـهـارـ وـالـذـيـ لـمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـقـضـيـ عـلـىـ مـنـ اـنـفـضـ عـلـيـهـ فـيـ الثـمـانـيـنـاتــ وـهـمـ عـشـراتـ الـآـلـافــ رـغـمـ كـلـ أـشـكـالـ بـطـشـهـ وـظـلـمـهـ وـالـثـلـاثـةـ عـقـودـ الـتـيـ أـبـعـدـهـمـ بـهـاـ عـنـ بـلـدـهـ وـحـرـمـهـمـ هـمـ وـأـقـارـبـهـمـ مـنـ الـعـيـشـ مـوـاـطـنـيـنـ مـلـلـهـمـ فـكـانـوـاـ مـنـ أـكـثـرـ الدـاعـمـيـنـ لـثـورـةـ إـلـيـخـوانـهــ (ـلـاـ بـدـ لـهـ)ـ مـنـ أـنـ يـدـرـكـ أـنـ الـمـلـاـيـنـ الـتـيـ اـضـطـهـدـتـهـاـ وـنـكـلـتـ بـهـاـ آـلـهـ الإـجـرـامـيـةـ لـنـ يـسـكـنـ لـهـاـ جـرـحـ أـوـ يـهـدـأـ لـهـاـ بـالـحـتـىـ يـسـقـطـوـهـ وـيـأـخـذـوـ حـقـمـ وـحـقـ أـسـلـافـهـمـ...

* باحث وكاتب في مركز أممية

المصدر : مركز أممية للدراسات والبحوث

المصادر: